التناص الديني في رواية "الثائر الأحمر" لعلي أحمد باكثير

د. عبد الحكيم الزبيدي

تعريف التناص:

التناص هو المقابل العربي للمصطلح الإنجليزي Intertextuality والمصطلح الفرنسي intertextualite، وقد يترجم أحياناً إلى تداخل النصوص أو النصوصية[1].

وكما تتعدد ترجمة المصطلح تتعدد التعريفات، على أننا يمكن أن نبسط تعريف التناص بأنه يعني: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين والتلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"[2].

وتعد الباحثة جوليا كرستيفا رائدة هذا المصطلح[3]، وترى أن "كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى"[4].

وظيفة التناص:

يؤدي التناص وظيفة مهمة في النص الأدبي سواء أكان روائياً أم شعرياً. ويؤكد الدكتور أحمد الزعبي على أن النص المقتبس في العمل الروائي يجب "أن يؤدي وظيفة فنية جمالية أو فكرية موضوعية يخدم السياق الروائي وينسجم معه. ولا يستحضر هذا النص أو ذاك للزينة أو للديكور أو استعراض القدرات الثقافية، وإنما لغرض يراه المؤلف

1- د. أحمد الزعبي: التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2000م، ص 11.
2 - السابق، ص 11.
3 - السابق، ص 11.
4 - السابق، ص 12.

ضرورياً لتعميق فكرته المطروحة أو بلورة رؤيته في قضية ما، أو يراه منسجماً مع البناء الفني أو الأسلوبي أو اللغوي في روايته"[1].

أشكال التناص:

يأتي التناص في الأعمال الأدبية على شكلين: مباشر وغير مباشر أو تناص التجلي وتناص الخفاء –كما يعرف أيضا- والفرق بينهما هو أن الأولى عملية واعية بينما الثاني عملية لا شعورية[2].

ونعني بالتناص المباشر أن يقتبس الأديب النص بلغته التي ورد فيها، مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص، أما التناص غير المباشر فهو الذي يستنتج استنتاجاً ويستنبط استنباطاً من النص وبخاصة الروائي، "وهذا ما ندعوه بتناص الأفكار أو المقروء الثقافي أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصاتها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها أو نسبتها إلى أصحابها. وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته، ولهذا تستنبط استنباطاً وربما تخمن تخميناً، كما يدخل ضمن التناص غير المباشر تناص اللغة والأسلوب"[3]. وقد يكون التناص الوارد كلمة أو جملة ذات دلالة ما، تقود أو تدل على النص الذي اجتزئت منه، وقد يكون بيت شعر أو جزءاً منه[4].

أنواع التناص:

ينقسم التناص إلى أنواع متعددة بحسب نوع النص المقتبس. فهناك التناص التاريخي و الأدبي والديني، والأخير هو ما سنتناوله هنا.

التناص الديني:

يقصد بالتناص الديني أن تتداخل مع النص الأصلي للرواية نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف أو الأخبار الدينية بحيث تأتي منسجمة مع السياق الروائي وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً[5].

1- الزعبي، المرجع السابق، ص 29.
2- د. ماجد ياسين الجعافرة : التناص والتلقي: دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، إربد، الأردن، 2003م ، ص 15.
3- الزعبي، ص 20، الجعافرة، ص 15-16.
4- الجعافرة، ص 15.
5- الزعبي، ص 37.

التناص الديني في رواية "الثائر الأحمر":

نشأ الأديب علي أحمد باكثير نشأة عربية إسلامية في موطن آبائه حضرموت، قبل أن ينتقل إلى مصر ويلتحق بجامعتها ويتخرج في قسم اللغة الإنجليزية، فقد حفظ القرآن أو أكثره وحفظ متون الفقه وكتب الحديث، والنحو والبلاغة والأدب ودواوين الشعراء[1]، وقد أثرت تلك التربية في ثقافته وأمدته بمخزون ديني وتراثي انعكس على أعماله الأدبية. وسنحاول أن نمثل لظاهرة التناص الديني في روايته "الثائر الأحمر" ببعض النماذج إذ إن الإحاطة بها كلها قد يطول بنا. وقد اخترنا هذه الرواية من بين رواياته الست لأنها أنضجها من الناحية الفنية[2]، ولأن موضوعها التاريخي الديني جعل ظاهرة التناص الديني تظهر فيها بجلاء، وتوظف توظيفاً فنياً مناسباً كما سنوضح في ثنايا البحث.

ملخص لأحداث الرواية:

تنقسم الرواية إلى أربعة أسفار كل سفر يضم عدداً من الفصول تزيد أو تنقص حسب الحاجة. يقدم باكثير للسفر الأول بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[3]. وفيه نتعرف إلى حمدان الفلاح البسيط الذي يعمل ضمن آلاف العاملين في جزء من أرض ساشعة يملكها إقطاعي يدعى ابن الحطيم. يعيش حمدان وأسرته في فقر مدقع وعمل شاق مضنٍ لا يعود عليهم إلا بما لا يكاد يسد حاجتهم من جشب الطعام وخشن الملابس، بينما تذهب حصيلة جهدهم وعرقهم إلى خزينة شاب عاطل لا يدري كيف ينفق ماله من كثرته ولا وقته من فراغه، لا يعرف حمدان إلا اسمه وسيرته الخليعة التي يتناقلها الناس كما يتناقلون أساطير ألف ليلة وليلة. ولكن حمدان يعيش في كوخه راضياً بحياته تلك لا يشكو ولا يتذمر حتى تُخطف أخته عالية وهي تتهيأ للزفاف إلى ابن عمها عبدان، فيجن جنون حمدان ويبحث عنها في كل مكان، ثم ينضم إلى العيارين حين علم أنها في قصر سيده ابن الحطيم يستمتع بها استمتاعه بالجواري. ويستطيع

1- د. محمد أبوبكر حميد : على أحمد باكثير، النشأة الأدبية في حضرموت، **الأدب الإسلامي**، 1422هـ / 2001م، العدد 29، م 8، ص 15.

2- د. حلمي محمد لقاعود: الثائر الأحمر وفشل المشروع القرمطي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 7، ص336- 367.

3- الإسراء، 16.

حمدان أن ينقذ أخته عالية ولكنها تختفي بعد أيام من تلقاء نفسها بعد أن شعرت أن عبدان –خطيبها السابق- قد زهد فيها بعد انثلام شرفها، وبعد أن أحست أن جنيناً يضطرب في أحشائها.

ويقدم الكاتب للسفر الثاني بقول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ❖ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. وفيه نطالع عبدان وهو يقيم في بغداد متنكراً في زي طلبة العلم بعد أن فر من قريته بعد قتله لشرطيين جاءا للقبض عليه وعلى حمدان. ولكن عبدان ما أن أخذ في طلب العلم حتى شغف به، وبرع في الفقه وخاصة في أبواب الزكاة والمزارعة وغيرها مما يفصّل حياة الناس بما يكفل العدل للجميع، وكان يرى صورة حمدان تطل عليه من خلال السطور فيود لو يطلع حمدان على منهج الله في العدل الذي لم يجده في الواقع فذهب يلتمسه لدى العيارين. ولكن عبدان يتعرف إلى جعفر الكرماني ويرى أخته شِهراً فيعجب بها وحين يخطبها منه يطلعه الكرماني على أنه من دعاة مذهب العدل الشامل ويجادله عبدان ولكن الكرماني يجعل قبول عبدان الانضمام لجماعته التي تقوم على نبذ الدين ومحاولة تقويض سلطان الخلافة لإقامة سلطان يدعو إلى العدل الشامل القائم على المساواة، يجعل ذلك شرطاً للوصول إلى شهر. وبعد تفكير طويل أتبع عبدان شهوته فقبل عرض الكرماني فمكنه الكرماني من شهر يستمتع بها دون عقد زواج. ويصبح عبدان من دعاة المذهب المنظرين له ويعمل مع الكرماني وشهر في تجنيد الأتباع. ولكن الخليفة يعلم بأمر الجماعة فيشتت جمعهم ويهرب عبدان والكرماني وشهر إلى الكوفة.

ويقدم الكاتب للسفر الثالث بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2]. وفيه يتوب حمدان عن العيارة ويتعرف إلى الشيخ حسين الأهوازي الذي ظهر في القرية فجأة وبدا للناس في صورة التقي الورع، وقد استضافه حمدان في بيته حين مرض لتمرضه أخته راجية ولكن الشيخ استطاع أن يجعلها تسلم نفسها له بعد أن اطلع على بعض شأنها وأنها تتصل بالشبان أثناء غياب أخيها حمدان عن المنزل. وبعد مدة يعترف الشيخ الأهوازي بحقيقته لحمدان ويخبره أنه من دعاة مذهب العدل الشامل ويعطيه رسالة

1- الأعراف، 175-176.
2- النحل، 90.

من عبدان تدعوه إلى الانضمام إلى جماعة الشيخ ويطلعه الشيخ على مذهب القوم ما خلا مسألة الإباحية. ثم يغادر الشيخ القرية، بعد أن يجمع عدداً من الأتباع جعل حمدان رئيساً لهم. وفي نهاية السفر يعلن حمدان وأتباعه العصيان يتخذون (مهيماباذ) عاصمة لهم ويبدأون في تطبيق مذهبهم.

ويقدم الكاتب للسفر الرابع والأخير بقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾[1] وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ❖ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]. وفيه تأتي عالية –التي أصبح اسمها وردة- مع زوجها عيسى الخواص وابنتها مهجورة لتنضم إلى مملكة أخيها ولكن عامل الحدود يعجب بجمالها ولا يصدق دعواها أنها أخت حمدان، ويقتل زوجها ليخلو له وجهها ولكنها تصده، وحين يعلم حمدان بأمرها من عيونه يقتل عامل الحدود ويدعوها للإقامة معه في قصره. ولكنها إذ ترى ما هم عليه من الإباحية تطلب منه أن تقيم في منزل منفصل هي وابنتها فيجيبها لذلك. وتعمل عالية على دعوة النساء إلى العودة إلى الدين وترك الإباحية، ويحبسها حمدان في قصرها ويمنع النساء من الاتصال بها. وفي أثناء ذلك تتكشف للعمال والصناع الذين التحقوا بمملكة حمدان هرباً من ظلم الإقطاعيين في دولة الخلافة تتكشف لهم الحياة الجديدة عن نوع آخر من الظلم وإذا هم قد استبدلوا ظلماً بظلم فأخذت حماستهم تقل وأخذوا يتباطئون في العمل ويتكاسلون فيه، إذ كل منهم ينال شبع بطنه سواء اجتهد أم لم يجتهد. وفي الوقت نفسه نشطت حركة أبي البقاء البغدادي –وهي حركة إصلاحية تدعو إلى إنصاف الفلاحين والعمال من خلال تطبيق منهج العدل الإسلامي- بعد وفاة الخليفة المعتمد وتولي المعتضد الخلافة وإطلاقه أبي البقاء من السجن، وتطبيق منهجه الإصلاحي، فأخذ العمال والفلاحون يتسللون من مملكة حمدان ويلتحقون بدولة الخلافة، حتى لم يبق مع حمدان إلا قلة من أتباعه. وفي هذه الأثناء كان القداحون وهم رؤساء حمدان وزعماء المذهب كانوا يطالبون

1- النحل، 71.
2- النحل، 75-76.

حمدان بمحاربة الخليفة وهو يرفض أن يبدأ الخليفة بالقتال، فيخلعه القداحون ويولون (ذكرويه) مكانه. وهنا يتوب حمدان ويعود إلى أداء الصلوات ويأمر أهل بيته وأتباعه باللحاق بدولة الخلافة وينصرف هو هائماً على وجهه فيلقى سلام الشواف – زعيم العيارين التائب- فيطلب منه أن يصحبه إلى بغداد للقاء أبي البقاء البغدادي.

التناص الديني:

يتمثل التناص الديني - بشكليه المباشر وغير المباشر- في الرواية في مظهرين هما: التناص مع القرآن الكريم والتناص مع الحديث الشريف. ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى أن البحث سيتناول التناص الوارد في ثنايا الرواية فقط، ولن يشمل الآيات الكريمة التي صدَّر بها الكاتب فصول الرواية، لأن هذا التصدير يدخل تحت مفهوم ما يعرف بـ "العتبات النصية"، أكثر من دخوله ضمن مفهوم التناص. وسنقسم أمثلة التناص الواردة في الرواية حسب الشخصيات التي وردت على لسانها إذ تختلف الدلالة – في رأينا- حسب الشخصية التي وردت على لسانها.

أولاً: ما ورد على لسان الشخصيات المتدينة:

وأبرز من يمثلها في الرواية أبو البقاء البغدادي. وقد وردت نماذج متعددة من التناص الديني في أحاديثه المبثوثة في الرواية، وسنقتصر في السطور التالية على بعض الأمثلة منها للتدليل.

أ: التناص مع القرآن الكريم:

1- إنا كفيناك المستهزئين:

يقول الكاتب واصفاً أبا البقاء البغدادي أثناء المناظرة التي جرت بينه وبين أتباع القرامطة والذين تأثروا بشبهاتهم:

"فظهر على وجه أبي البقاء شيء من الغضب، ولكنه ما لبث أن تطلق وجهه، وقال: «ويلك ليس ذلك منهاجي وإنما هو منهاج دين الله، وقد فرض لمثلك حق الفقير».

- وما حق الفقير؟

- أن يكون له ولمن يعولهم بيت صالح يأوون إليه بمتاعه وماعونه، وطعام طيب يأكلونه من أوسط ما يطعم الناس في غير أشر ولا بطر، وكسوة للصيف وأخرى للشتاء من أوسط ما يلبس الناس بلا زهو ولا خيلاء، وفضل نفقة للعيد يوسع بها على

زوجه وعياله.

ـ أمن زكاة أموال الأغنياء يصرف ذلك؟

ـ نعم، ما وفت الزكاة به.

فضحك الرجل وتضاحك من معه حتى هم بعض أصحاب أبي البقاء بالوثوب عليهم لولا أنه منعهم من ذلك وقال بصوت يرتجف غضبا: «إنا كفيناك المستهزئين»"[1].

والاستشهاد هنا بقول الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[2] جاء مناسباً ومتسقاً مع شخصية أبي البقاء التي تمثل النموذج المثالي لما ينبغي أن يكون عليه العالم الرباني المتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم. فكما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرض عن الجاهلين والمستهزئين، فكذلك أبو البقاء هنا رغم شدة غضبه من سخرية الرجل وتضاحكه هو وأصحابه من كلام أبي البقاء، رغم ذلك يسيطر على غضبه ويكظم غيظه، ويمنع أصحابه من البطش بالرجل ويكتفي بزجره بآية من كتاب الله، تذم المستهزئين وتهددهم. وقد أضاف التناص مع هذه الآية الكريمة إفادة للقارئ حول شخصية أبي البقاء وما تتمتع به من أخلاق النبيين العالية.

2- وفيكم سماعون لهم:

من حوار بين أبي البقاء وأحد الصناع الذي ردد شبهة القرامطة أن أموال الزكاة – لو التزم الأغنياء بدفعها- لن تفي بحاجة المعوزين والمحتاجين، فيرد عليه أبو البقاء قائلاً:

– "فهل أحصيت زكاة أموال الأغنياء جميعاً فاستنزرتها؟

– لا والله، إني عشت ما عشت في زمن لا يخرج الأغنياء فيه زكاة أموالهم، فما أدري والله أكافية هي أم غير كافية. ولكن هؤلاء القرامطة يقولون إن الزكاة التي فرضها الدين لا تغني شيئاً، فأردت أن أعرف ما حكم الله في ذلك لو صح ما يزعمون.

– لعنة الله عليهم! إنما يبغون الفتنة وفيكم سماعون لهم"[3].

والشاهد هنا هو قوله: "إنما يبغون الفتنة وفيكم سماعون لهم"، وهو مأخوذ من قول

1– علي أحمد باكثير: الثائر الأحمر، دار الكتاب اللبناني، د.ت.، السفر الثالث، 12.
2– الحشر–95.
3– الرواية، السفر الثالث، 12.

الله تعالى عن المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[1]. وفي استدعاء أبي البقاء للآية الكريمة تشبيه لهؤلاء القرامطة بالمنافقين الذين يريدون أن ينشروا الفتنة بين المسلمين، وتحذير للمسلمين من الاستماع إليهم وتصديقهم. وكأن المؤلف بهذا يوجه تحذيراً للمسلمين المعاصرين يحذرهم فيه من الاستماع إلى دعاة الفتنة الذين يشككونهم في دينهم ليصرفوهم عنه.

3- فاسألوا أهل الذكر:

يقول المؤلف واصفاً طرفاً من مناظرة أبي البقاء لأتباع القرامطة وتأثر الحاضرين بكلامه:

"وسكت أبو البقاء قليلاً وصمت أهل المجلس مما لحقهم من الخشوع حتى رؤي بعضهم يمسح بطرف ردائه أثر الدمع من عينيه، ثم تنحنح الشيخ وقال: «هيه يا معشر المسلمين! سلوني أجبكم، فإن الشيطان ليلقي الشبهة في قلب أحدكم كشرارة النار الصغيرة فما يزال ينفخ فيها بوسواسه وهي تعظم وتستطير حتى تأكل إيمانه. فمن كانت عنده شبهة من وساوس أولئك القوم فليفض بها إليّ لعلي أكشفها عنه. قال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)"[2].

والاستشهاد هنا بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3]، يبدو وكأنه رسالة يريد الكاتب إبلاغها إلى القارئ المعاصر وهي أن يسأل أهل العلم وأهل الاختصاص في الدين ليزيل ما يعلق في نفسه وفكره من شبهات أعداء الدين.

4- لا يسخر قوم من قوم:

ومن المناظرة نفسها، ضمن حوار بين أبي البقاء وأحد الصناع، يقول الصانع:

"- أفي دين الله كل هذا يا أبا البقاء؟

- نعم وزيادة.

- ما الزيادة؟

1- التوبة-47.
2- الرواية، السفر الثالث، 12.
3- النحل-43.

ـ التراحم والتواد، وألا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن"[1].

وفي العبارة الأخيرة تناص مع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2]. وفي هذا الاستدعاء للآية الكريمة إشارة إلى الفارق الكبير بين منهج الله الذي يحفظ للإنسان كرامته وبين المذاهب الأخرى التي تزعم أنها تسعى إلى إشاعة العدل والمساواة بين الناس بينما هي تمتهن كرامتهم بإشاعة الإباحية وترويج الفاحشة.

5- والله أحق أن تخشاه:

في الحوار بين المعتضد ابن الموفق وأبي البقاء، يقول المعتضد:

- "أجل لقد قرأت منها كتاب الفضول، فشهدت فيه فضلك وعلمك، وأشهد أن أبي رحمه الله كان يعجب به.
- غفر الله لأبي أحمد، كنت أنتظر منه التنفيذ لا الإعجاب.
- قد كان يرى صعوبة تنفيذه.
- بل كان يخشى ثورة الأغنياء، وكان الله أحق أن يخشاه"[3].

وفي العبارة الأخيرة إشارة غير مباشرة إلى قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾[4]. فمع تناسب ورود مثل هذه الآية في حديث أبي البقاء، فإن فيها أيضاً ما يدل على فقهه، إذ إن الآية الكريمة عتاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فكأن أبا البقاء يقول للمعتضد إنه لا يتحرج أن يوجه مثل هذا العتاب لأبيه لأن الله تعالى قد خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب القوي من قبل.

1- الرواية، السفر الثالث، 12.
2- الحجرات-11.
3- الرواية، السفر الثالث، 12.
4- الأحزاب-37.

6- ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض:

هناك آية كريمة وردت على لسان سلام الشواف الذي كان زعيم العيارين، ولكنا آثرنا أن نوردها هنا لأنها وردت على لسانه بعد أن تاب وأناب إلى الله، وأصبح من أتباع أبي البقاء البغدادي. ففي الحوار الذي دار بين سلام الشواف وحمدان في نهاية الرواية، يقول الشواف:

- "وسترى أبا البقاء هناك إن شئت.
- أبا البقاء البغدادي!.
- نعم فإنه يزور عبد الرؤوف أحياناً، أفلا تحب أن تراه؟
- بلى، والله لوددت لو رأيته فقبلت ما بين عينيه. ولكن بأي وجه أقابله؟
- إنه يحبك يا حمدان ويعجب بك.
- يحبني!.
- لا تعجب، فلولا أنت لما كان له شأن، ولولا هو لما سقطت يا حمدان، فهل تجد عليه أنه أسقطك؟
- كلا، والله إني لأحبه وأجلّه في نفسي. ولئن أسقطني لقد رفع منار العدل!.
- أجل، هذه سنة الله. ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض"[1].

والجملة الأخيرة فيها استشهاد بقول الله تعالى:﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّـهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّـهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّـهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]. والتناص مع الآية الكريمة يبين سنة من سنن الله في الكون، وهي دفع الأشرار من الناس بالأخيار منهم، قال الزمخشري في تفسير الآية: "ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف به فسادهم، لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها"[3]. وورود الآية الكريمة في نهاية المسرحية يوحي وكأنها خلاصة المغزى الذي أراد الكاتب أن يؤكد عليه.

1- الرواية، السفر الرابع، 23.
2- البقرة-251.
3- الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1427هـ/2006م، 227/1.

ولورود الآية على لسان الشواف دلالة خاصة - في رأيي، فلو وردت هذه الآية على لسان أبي البقاء –مثلاً- لربما ظُن أنه يرددها عن حفظ دون تمثل لمعناها، أما ورودها على لسان الشواف فإن ذلك يدل على أنه يرددها عن إيمان وقناعة بعد أن جرب حياة العيارين، فوجد أن رفع الظلم بالظلم –وهذا ما حاول القرامطة ومن قبلهم العيارون والزنج فعله- إفساد في الأرض.

ب- التناص مع الحديث الشريف:

من أمثلة التناص مع الحديث الشريف التي وردت على ألسنة الشخصيات المتدينة ما يلي:

1- سبعة يظلهم الله في ظله:

يقول الكاتب متحدثاً عن استقبال المعتضد لأبي البقاء بعد أن أطلق سراحه من السجن بعد وفاة الخليفة المعتمد وعزمه على تنفيذ منهجه الإصلاحي:

"فتلقاه المعتضد بمزيد الحفاوة والتكريم، وأقبل عليه وأدنى مجلسه وأخلى له وجهه، ومن دونه الوزراء والكبراء وأصحاب الرياسات ينظرون ويتعجبون.

قال لأبي البقاء فيما قاله: «إن بابي لا يغلق دونك بليل أو نهار، وإني أعاهد الله ربي لا تدعوني إلى خطة فيها رضى الله ورسوله وخير الناس إلا نفذتها لك ما استطعت».

فشكره أبو البقاء وقال له: «حسبي وحسب الناس منك هذا. وإني لأرجو الله أن تكون من السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله يوم القيامة» ثم روى الحديث بتمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم بسنده"[1].

وحديث السبعة بتمامه وسنده كما رواه الإمام البخاري هو:

"حدثنا محمد بن سلام أخبرنا عبد الله عن عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ورجل قلبه معلق في المسجد ورجلان تحابا في الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها قال إني أخاف الله ورجل

1- الرواية، السفر الثالث، 12.

تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه"[1].

وفي التناص مع الحديث الشريف ما يتناسب مع شخصية أبي البقاء الفقيه، ثم هو يتناسب مع ما فعله الخليفة المعتضد مع أبي البقاء إذ أكرمه وأطلق يده ليطبق منهجه الإصلاحي ليرى الناس عدل الله فينصرفوا عن خداع القرامطة. ولعل الكاتب يريد أن يشجع الملوك والرؤساء في عصره على تطبيق المنهج الإسلامي في الحكم مبشراً لهم بهذه البشرى العظيمة من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للإمام العادل.

2- ما شبع آل محمد من خبز الشعير:

يقول الكاتب على لسان أبي البقاء حين سئل في المناظرة أن القرامطة يزعمون أن الزكاة لا تكفي لسد حاجة الفقراء، وسألوه ماذا يقولون لهم رداً على ذلك، فقال:

"ـ فقولوا لهم: إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وما الزكاة المفروضة إلا الحد الأدنى لما يؤخذ من مال الغني ليرد على الفقير. وهذه تؤخذ في وقتها المعلوم من نصابها المعلوم، ولو لم يوجد من يستحقها فتودع حينئذ في بيت المال. وكان العرب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل تقشف وقناعة، فكان يكفيهم القليل من المال، يكاد يستوي في ذلك غنيهم وفقيرهم، وما يفضل عن حاجتهم كانوا ينفقونه على الجهاد في سبيل الله أو يتصدقون به سراً وعلانية، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام خير قدوة لهم في ذلك، فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وما شبع آل محمد من خبز الشعير قط"[2].

وما ورد في آخر قوله هو جزء من حديث نصه:

"حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الأسود عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير حتى قبض"[3].

والحديث مناسب وروده على لسان أبي البقاء البغدادي الفقيه، ومناسب للمقام أيضاً، كما يدل على ثقافة الكاتب الدينية.

1- الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري -الصفحة أو الرقم: 6806- خلاصة الدرجة: [صحيح] (موقع الدرر السنية).

2- الرواية، السفر الثالث، 12.

3- الراوي: عائشة المحدث: الألباني- المصدر: صحيح ابن ماجه -الصفحة أو الرقم: 2718-خلاصة الدرجة: صحيح (موقع الدرر السنية).

ثانياً: ما ورد على لسان الشخصيات غير المتدينة

وأبرز من يمثلها في الرواية كل من الشيخ بهلول السمرقندي الذي كان عياراً في صورة شيخ واعظ، والشيخ حسين الأهوازي الذي كان يتظاهر بالورع والتقوى وهو في الحقيقة داعية من دعاة المذهب القداحي. وسنتناول بعض الأمثلة لما ورد على ألسنتهم فيما يلي.

أ: التناص مع القرآن الكريم

1- أيهم أحسن عملاً:

يقول الكاتب حاكياً عن حديث الشيخ حسين الأهوازي الذي ظهر لحمدان في صورة شيخ ورع تقي قبل أن تظهر له حقيقته كداعية من دعاة المذهب القداحي:

"ثم استطرد إلى الكلام في القضاء والقدر فوعى حمدان منه أن الله لا يحاسب الناس إلا على قدر ما يسر لهم من الأسباب لسلوك الخير والبعد عن الشر، فالفقير الذي تدفعه الفاقة إلى سرقة ما يقتات به لا يكون حسابه كحساب الذي يسرق ليتنعم في مأكله أو مشربه، إذ يقع شطر من تبعة الأول على جاره الغني الذي حرمه بعض حقه في العيش بما احتجنه عنه، فقد خلق الله الأرض وجعل فيها من الرزق ما يكفي أهلها جميعاً ويزيد عن حاجتهم، ثم هيأهم للسعي في طلبه، لتنشط أجسامهم وعقولهم، وليبلوهم أيهم أحسن عملاً، فيحسن الغني إلى الفقير، ويأخذ القوي بناصر الضعيف، لا ليجعل الغني ماله ذريعة لإجاعة الفقير وتضييق مذاهب العيش عليه، ولا ليتخذ القوي قوته وسيلة لإذلال الضعيف واضطهاده"[1].

وفي حديث الشيخ تناص مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾[2]. وفيه إشارة إلى أن الأهوازي يستخدم الآيات القرآنية لخداع الناس وإيهامهم أنه من أهل الصلاح والتقوى وليصل من خلال ذلك إلى أهدافه الخبيثة وهي نشر مذهب القداحين.

2- إثنا عشر نقيباً:

يقول الكاتب متحدثاً عن الشيخ حسين الأهوازي داعية القداحيين، وطريقته في نشر الدعوة:

1- الرواية، السفر الثالث، 3.
2- الكهف-7.

"وأخذ الشيخ يصطفي من الوافدين إليه من يتوسم فيهم الاستعداد للإيمان بدعوته ممن يكثرون التردد عليه، فيختلي بهم ويفضي إليهم بأنه يدعو إلى إمام من أهل البيت سيظهر وشيكاً فيملأ الدنيا رخاء وعدلاً وسلاماً. ثم يتدرج في الإفضاء إليهم بأسرار الدعوة على قدر استجابتهم لها وثقته بإخلاصهم في الإيمان بها.

ثم اتخذ من هؤلاء الأتباع المخلصين له اثني عشر نقيباً، وجعل حمدان نقيب النقباء. وأوصاهم جميعاً أن يتجملوا بالصلاح والتقوى ويسيروا في الناس سيرة حسنة. ثم وزعهم في أنحاء تلك الجهة ليدعوا الناس إلى المذهب بحكمة وتؤدة، فيخاطبوا كل قوم على قدر عقولهم ودرجاتهم، ويميلوا إليهم بسبب يوافقهم، ولا يفضوا بسر الدعوة إلا لمن يثقون بإخلاصه على أن يوصوه بكتمان السر تقية من السلطان[1].

وفي قول الكاتب "ثم اتخذ من هؤلاء الأتباع المخلصين له اثني عشر نقيباً" تناص مع قول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾[2]. وكأن الكاتب يريد بذلك أن يقول إن الشيخ الأهوازي استفاد من ثقافته الدينية في سبيل نشر دعوته الهدامة، وهكذا هي المذاهب الهدامة قد تستفيد من الدين في نشر مذهبها بين أتباعها.

3- الأخسرين أعمالاً:

يقول الكاتب واصفاً لقاء حمدان بالشيخ بهلول السمرقندي لأول مرة في مجلس وعظه بالمسجد بعد أن عرفه به صديق الطرفين عبد الروؤف:

"وما لبث الشيخ أن تكلم في الزهد والتقوى فسمع حمدان منه كلاماً لم يسمعه من أحد من قبل. ولما بلغ من كلامه إلى ذكر الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وضرب لذلك أمثلة شتى، لم يملك حمدان أن خشع قلبه فغلبه البكاء، إذ وقع في نفسه أن الشيخ قد عرف سره من طريق الكشف، فهو يوبخه ويدعوه للتوبة والاستغفار، وإلا فكيف ذكر العيارين في هؤلاء؟"[3].

1- الرواية، السفر الثالث، 5.
2- المائدة-5-12.
3- الرواية، السفر الثالث، 3.

والفقرة تستدعي إلى الذاكرة الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا ❖ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]. ومع أن الكاتب قد أشار بوضوح إلى تأثير هذه الآية على حمدان إذ جعلته يظن أن الشيخ يقصده بها إذ انضم للعيارين ليستعيد أخته من خاطفيها ولينتقم من الأغنياء، وهو يحسب أنه على صواب بينما هو يستبدل ظلماً بظلم، أقول رغم إشارة الكاتب صراحة لذلك، إلا إنني أحسب أن الكاتب أراد بها أبعد من ذلك، إذ أراد أن يوجه بها اللوم للعيارين والزنج والقداحين والقرامطة، الذين انتهجوا سبيل الظلم والإباحية الجنسية ظناً منهم أن هذا هو سبيل العدل، بينما هم مخطئون وضالون. ويرمي الكاتب من ذلك أيضاً إلى إدانة الحركات المعاصرة له –مثل الشيوعية- التي هي على ضلال ولكنهم يحسبون أنفسهم على صواب وأنهم سينشرون العدل بين الناس.

4- ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى:

من الحوار الذي دار بين عبدان والحسين القداحي، الذي كان يزعم لهم أنه الواسطة بينهم وبين الإمام المعصوم الذي يدعو له، وحين طلب منه عبدان أن يوصله إلى الإمام المعصوم قال له إنه هو الإمام المعصوم، وهدده بأن يخلع حمدان إذا لم يعجل بمحاربة الخليفة:

"ثم التف إلى الحسين وقال: «أمثلك يا قداحي تخلع حمدان؟ انتظر قليلاً تر ما يسوؤك منه».

فقال الحسين له: «بلغ ابن عمك إن وصلت إليه حياً أن غضبي سيحل عليه، ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى!»"[2].

وفي عبارة القداحي الأخيرة تمثل بقول الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[3]. وفي استدعاء الكاتب للآية الكريمة ما يوحي للقارئ بأن القداحي قد جعل نفسه في منزلة الإله، فهو يتصرف وكأنه الرب الأعلى، الذي لا يستطيع أحد أن يخالفه أو يناقشه أو يعترض عليه، بل على الجميع السمع والطاعة.

1- الكهف-103-104.
2- الرواية، السفر الرابع، 19.
3- طه-81.

5- والسلام على من اتبع الهدى:

يورد الكاتب نص الرسالة التي وردت من عبدان لحمدان بعد أن طلب منه القداحي أن يلعن حمدان ويتبرأ منه، ويرسل له خطاباً يعلن له فيه أنه قد خلع:

"فلما قرئت الرسالة عليه إذا فيها بعد الديباجة: «أما بعد، فقد رأيت وجه الإمام المعصوم حيث كان في موضع حجابه الأقدس، فشملني برضوانه ورعايته، واصطفاني وأدناني. أما أنت يا حمدان فقد لعنك الإمام، وخلعك عن قيادة الدعوة ورياسة مهيماباذ، وتبرأ منك ومن سوء عملك وعصيانك لأمره الذي هو من أمر الله. وإني قد وجدته مطلعاً على كل ما أسررت وأعلنت، فقد نعى عليك ضعف إيمانك بوجوده، وقلة يقينك في مذهب العدل الشامل، وتسترك على أختك الكافرة بالإمام، وإيواءك إياها في قصر من قصورك، وهي تسب المذهب وتلعنه كما تشاء، وتفتن نساء مهيماباذ عن دينهن، أما قاصمة الظهر التي استوجبت بها الطرد من رحمته، والفصل من شيعته، واللعنة الدائمة إلى يوم الدين، فهي تقاعدك إلى اليوم عن محاربة دعي بني العباس حتى فشا أمره وتفاقم على مملكة العدل الشامل خطره، ففرطت بذلك في الأمانة التي في عنقك. وقد ولى ذكرويه السلماني مكانك فانزل له عن منصبك طائعاً قبل أن تنزل عنه راغماً. وإني لألعن من لعنه الإمام وأتبرأ ممن تبرأ منه. وعزيز علي أن آتي ذاك لمكان قرابتك مني، ولكن الحق أحق أن يتبع. والسلام على من اتبع الهدى»"[1].

والجملة الأخيرة فيها تناص مع الآية الكريمة:﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾[2]. وفي تضمين عبدان للآية الكريمة ما يدل على انقلاب الموازين، فعبدان يعد نفسه هو على الهدى وحمدان –التائب العائد إلى دينه وفطرته- هو الضال المارق الخارج على شرعية الإمام المزعوم. وفي استدعاء هذه الآية وهي واردة في قصة فرعون، استدعاء لأفعال وأقوال فرعون نفسه الذي كان يعد نفسه داعية صلاح ورشاد: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[3]، أما موسى –عليه السلام- فما هو في نظر فرعون إلا داعية فساد وضلال: ﴿وقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[4].

1- الرواية، السفر الرابع، 12.
2- طه-47.
3- غافر - 29.
4- غافر - 26

6- فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون:

في خلال وصف الكاتب لموقف المواجهة بين عبدان وحمدان حين أخبره عبدان بحمل أخته راجية سفاحاً من الشيخ الأهوازي، وأخذ يداريه ويحاوره ويمتص غضبه حتى لان ورجع عن عزمه في أن يطهر أخته بدمها، ثم يقول الكاتب:

"وقرع باب الحجرة عند ذاك، فقام عبدان ففتحه، فإذا شهر تبتسم وتقول: «أغلقتما الباب عليكما، فليت شعري ماذا كنتما تصنعان؟».

فقال عبدان: «كنت حبست الأسد في القفص الحديد حتى رقيته وروضته، فبشري راجية بألا خوف عليها الآن منه ولا هي تحزن»"[1].

وفي قول عبدان: " فبشري راجية بألا خوف عليها الآن منه ولا هي تحزن" تناص مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

وكأن الكاتب أراد بذلك أن يلفتنا إلى المفارقة في قول عبدان، فبينما الآية تتحدث عن الذين آمنوا بالله واستقاموا، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، إذا بعبدان يستخدم هذه الصفة لراجية التي كفرت بالله وانحرفت عن جادة الصواب بارتكابها إثم الزنا.

7- هذا فراق بيني وبينك:

يقول الكاتب واصفاً الطريقة التي تعرف بها حمدان على الشيخ حسين الأهوازي:

"وكان البقال شديد الاعتقاد في الصالحين، يزعم لحمدان أن بينهم قوماً مستورين لا يعرفهم أحد، لو أقسم أحدهم على الله لأبره، فطوبى لمن وفقه الله للاتصال بأحد هؤلاء. ولما أكثر من ذكر ذلك لحمدان وقع في نفسه أن صاحبه البقال يعرف واحداً من هؤلاء الأبدال، وأنه يكتم سره عنه حتى يستوثق منه. فقال له يوماً وقد ظهر العتب في وجهه: «إنني كنت أظن يا ابن السماك أن قد كان بيننا من المعرفة والصداقة ما يجعلك تثق بي وبأمانتي، فإذا أنا مخطئ، إنك تعرف أحد هؤلاء ولا تأمنني على سره».

فاضطرب البقال قليلاً ثم قال له: «من أخبرك بهذا يا حمدان؟» فأدرك حمدان أن ما ظنه كان صحيحاً فقال له: «قد عرفت ذلك من لحن قولك، فوالله لئن كتمتني أمره بعد اليوم ليكونن هذا فراق بيني وبينك»"[3].

1- الرواية، السفر الثالث، 8.
2- الأحقاف-13.
3- الرواية، السفر الثالث، 3.

وفي جملة حمدان الأخيرة تناصان، الأول مع قوله تعالى في الحديث عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[1]. والثاني مع قوله تعالى على لسان العبد الصالح مخاطباً موسى عليه السلام:﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[2]. وكأن الكاتب يقصد بالتناص مع الآية الأولى أن البقال يشبه المنافقين في تظاهره بشيء وهو يخفي خلافه. وبالتناص مع الآية الثانية أن البقال حريص على صحبة حمدان كما كان موسى –عليه السلام- حريصاً على صحبة العبد الصالح، ولذلك هدده حمدان بالانقطاع عن صحبته كما فعل العبد الصالح مع موسى –عليه السلام- حين أخل بالاتفاق الذي تم بينهما.

8- يسومونكم سوء العذاب:

في الحوار بين حمدان وطاغية الزنج، يقول حمدان:

"ـ إني لا أدعوك إلى مذهب أحد، وإنما أدعوك إلى المذهب الحق، مذهب العدل الشامل بين الناس.

ـ هذا ويلك مذهبي. أما علمت أنني حاربت الظلم ونشرت العدل؟

ـ إنك ما عدوت أن جمعت المظلومين من العبيد والرعاع فملكتهم رقاب الأحرار، يغتصبون أملاكهم، ويستحيون نساءهم ويسومونهم سوء العذاب"[3].

وفيه تناص مع قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[4]. وكأن الكاتب يقصد أن يسخر من ثورة الزنج وأنهم أشبه بفرعون فيما أشاعوه من فساد وانتهاك للحرمات.

1- محمد-30
2- الكهف-78
3- الرواية، السفر الثالث، 10
4- البقرة-49

ب: التناص مع الحديث الشريف:

1- فاز المخفون:

يقول الكاتب واصفاً مسير حمدان مع الشيخ بهلول وعبد الرؤوف إلى منزل عبد الرؤوف إجابة لدعوته لهما بتناول الغداء معه:

"ثم عاد الشيخ فقال وهو يتكفأ في مشيته الهوينى: «فاز المخفون يا حمدان! فاز المخفون يا عبد الرؤوف!» وما زال يرددها حتى انتهوا إلى زقاق طويل فساروا فيه نحواً من ثلثيه، فانعطفوا يميناً إلى حاره ضيقة مسدودة، فقال عبد الرؤوف حينئذ: «ها نحن أولاء قد وصلنا»"[1].

وفي قول الشيخ: "فاز المخفون" تناص مباشر مع الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: " فاز المخفون"[2]. وفي قول الشيخ "فاز المخفون" من المفارقة ما فيه، إذ نراه بعد قليل يأكل مما لذ وطاب ويشرب الخمر. وكأن الكاتب يسخر من العيارين الذين جعلوا من أنفسهم حماة للفقراء ومدافعين عن حقوقهم وهم أظلم الناس وأبعدهم عن العدل والصلاح.

2- يقادون إلى الجنة بالسلاسل:

يورد الكاتب حواراً بين حمدان وعبدان بعد أن استمعا إلى تذمر الفلاحين من الوضع الطبقي الجديد الذي وجدوا أنفسهم فيه، والذي لا يختلف كثيراً عما كانوا فيه من قبل:

"قال لعبدان ذات يوم: «ما تقول في هذا الذي تراه؟».

- هؤلاء يحنون إلى الظلم من طول ما عاشوا فيه، وهم يجتوون العدل لأنهم ما ألفوه.
- ولكنهم كانوا مبتهجين به في بداية الأمر.
- إنما كانت تلك لذة الانتقال من حال إلى حال، ولا يطول أمدها، وقد أخبر النبي عن قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل.
- أو تذكر النبي بعد يا فقيه الدعوة وأنتم لا تؤمنون به؟

1- الرواية، السفر الأول، 7.

2- الراوي: - المحدث: محمد بن محمد الغزي - المصدر: إتقان ما يحسن - الصفحة أو الرقم: 375/1-خلاصة الدرجة: لا يثبت لفظه (موقع الدرر السنية).

- لا ضير أن نذكره حين نحتاج إليه، وإننا لا نستغني عنه.
- فقل إذن : صلى الله عليه وسلم!.
- فسكت عبدان قليلاً واصفر وجهه وظهر عليه التخاذل، ثم ابتلع ريقه وقال: صلى الله عليه وسلم وعلى الإمام المعصوم... هذا حديث ينطبق على حال هؤلاء، وما إخال النبي إلا يعنيهم.
- ألا تدع حديث النبي يشرحه من يؤمنون به، وتأخذ أنت في شرح أقوال إمامكم؟"[1].

وفي حديث عبدان تناص مباشر مع قول النبي صلى الله عليه وسلم: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"[2]. فاستشهاد عبدان بقول النبي صلى الله عليه وسلم هو تأكيد لما أسلفناه من القول أن القرامطة كانوا يستخدمون ثقافتهم الدينية في فتنة الناس عن دينهم الحق والدعوة لمذهبهم الباطل.

3- خطاب الناس على قدر عقولهم:

يقول الكاتب متحدثاً عن الشيخ الأهوازي داعي القداحيين:

"ثم اتخذ من هؤلاء الأتباع المخلصين له اثني عشر نقيباً، وجعل حمدان نقيب النقباء.. وأوصاهم جميعاً أن يتجملوا بالصلاح والتقوى ويسيروا في الناس سيرة حسنة. ثم وزعهم في أنحاء تلك الجهة ليدعوا الناس إلى المذهب بحكمة وتؤدة، فيخاطبوا كل قوم على قدر عقولهم ودرجاتهم، ويميلوا إليهم بسبب يوافقهم، ولا يفضوا بسر الدعوة إلا لمن يثقون بإخلاصه على أن يوصوه بكتمان السر تقية من السلطان"[3].

وفي قوله: "فيخاطبوا كل قوم على قدر عقولهم" تناص خفي مع الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم"[4]. وفي وروده في الحديث عن الشيخ الأهوازي تأكيد لما أسلفناه من القول أن الأهوازي كان يستخدم ثقافته الدينية في الدعوة إلى مذهبه الهدام.

1- الرواية، السفر الرابع، 15.
2- الراوي: أبو هريرة المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 3010- خلاصة الدرجة: صحيح.(موقع الدرر السنية).
3- الرواية، السفر الثالث، 5.
4- المحدث: ابن تيمية - المصدر: مجموع الفتاوى -الصفحة أو الرقم: 338/18. خلاصة الدرجة: لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم في الرواية. (موقع الدرر السنية).

4- ماغزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا:

يقول الكاتب في الحوار الذي دار بين الهيصم وكرامة بن مر والي الكوفة:

"ـ إن كان المعتضد لا يريد حرب حمدان ففيم حشد هذه العساكر الجرارة في ناحيتنا؟.

ـ أعدها للدفاع عن حدودنا وصد القرامطة إن هاجمونا.

ـ فالهجوم عليهم قبل أن يهاجموكم هو الرأي. فما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا"[1].

وقول الهيصم: "ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا"، هو تناص مباشر مع الأثر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم[2]. وفي ورود هذا الأثر على لسان الهيصم مفارقة إذ الرجل من أبعد الناس عن شرع الله، ولكن لا بأس من أن يستخدموا الأحاديث والأثر للوصول إلى أهدافهم. فالهيصم يحرض الوالي على محاربة حمدان خوفاً على ثروته وماله، لا خوفاً على الناس ولا خوفاً على الإسلام.

ثالثاً: ما ورد على لسان الراوي:

ورد على لسان الراوي تناص مع آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وسنحاول في السطور التالية الإشارة إلى أمثلة منها.

أ: التناص مع القرآن الكريم:

1- يخرج من بين الصلب والترائب:

يقول الكاتب واصفاً حال حمدان الفلاح وحديثه إلى نفسه:

"إن هذا الشاب الثري الذي قضت الأيام على حمدان أن يعمل في أرضه فصار بذلك سيده، والذي لم ير حمدان له وجهاً إلى يومه ذاك ولا يعرف عنه إلا اسمه المشهور في تلك الأنحاء وسيرته الخليعة التي يتحدث بها أهل تلك المنطقة ويروونها فيما بينهم كما يروون أساطير الأقدمين ـ لهو إنسان مثل حمدان، قد خرج إلى هذه الدنيا من

1- الرواية، السفر الرابع، 2.

2- عزاها شيخ الإسلام ابن تيمية إلى النبي صلى الله عليه وسلم في "رسالته إلى السلطان الملك الناصري"، ومن قبله ابن الجوزي في كتابه " غريب الحديث " (مادة : عقر)، ولم يذكر أيٌّ منهما إسناداً أو مصدراً للحديث. (موقع ملتقى أهل الحديث).

صلب آدمي مثل والده وترائب أنثى كأمه، لا يمتاز عنه بشيء إلا أن أباه الحسن الحطيم قد ترك له ضياعاً واسعة في تلك الجهة، فكفاه بها مشقة العمل، وملكه رقاب عباد الله المحتاجين إلى العمل فيها ليقيموا به أصلابهم"[1].

وفي العبارة تناص خفي مع قول الله تعالى: ﴿فلينظر الإنسانُ مم خُلق❖ خُلق من ماءٍ دافق❖ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[2]. وفيه إشارة إلى أن ابن الحطيم هذا بشر مثله مثل حمدان ولكنه بما لديه من أموال وجاه يتصرف وكأنه إله، ناسياً أنه مخلوق من ماء مهين، وأن الله قادر أن يذهب بأمواله في طرفة عين، وقد حدث هذا في الرواية على يد حمدان وعصابته، حتى أصابه مس من الجنون.

2- ألا يرجع لهم قولاً

يقول الكاتب متحدثاً عن عالية وزوجها الخواص:

"وانتظر الخوّاص أن تقول زوجته شيئاً ولكنها ظلت ساهمة، وهي تمضغ عوداً من الكراث في يدها بقلة اهتمام كأنما تفعل ذلك بدون وعي منها، فلما رآها لا ترجع قولاً قال لها: «إن كان حمدان هذا أخاك حقاً فلا والله لا أدري ماذا يمنعك أن نلحق به ونحن أهله، وقد لحق به الأباعد عنه؟»"[3].

وفيه تناص غير مباشر مع قول الله تعالى عن عجل بني إسرائيل:﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا﴾[4]. وهو استدعاء ذكي، فكأنه يريد أن يشبهها بالصنم الجامد الذي لا يسمع ولا يستجيب، وهو بعد صنم جميل من ذهب، وفي هذا إشارة إلى جمالها.

3-يخل لكم وجه أبيكم

يقول الكاتب متحدثاً عن مشاعر راجية ليلة خطفت أختها عالية:

"وكان صدى حديثهما يبلغ إلى سمع راجية لولا أنها كانت في شغل عنهم بما يضطرب في قلبها من الخواطر، ويدور في رأسها من الأفكار. لقد قلقت كما قلق سائر أهلها لفقد عالية، ولكنها لا تستطيع أن تكذب نفسها، فهي تشعر بشيء من الارتياح

1- الرواية، السفر الأول، 1.
2- الطارق-5-6-7.
3- الرواية، السفر الرابع، 1.
4- طه-89.

لغيابها لا تدري على وجه التحديد ما سببه، فلعله الحسد الذي تبطنه لأختها، أو الطمع في أن يخلو وجه عبدان لها"[1].

وفي موضع آخر من الرواية يقول الكاتب متحدثاً عن صنيع عامل الحدود مع عالية:

"فقال جلندي: «نبأ عظيم»، ثم حكى لحمدان في جمل مختصرة بينة كيف نمى إليه أن عطيفاً النيلي عامل الحدود قد ترك امرأة مهاجرة سبت حمدان ولعنت المذهب دون أن يعاقبها، لأنه استلطفها، بل أجرى لها ولزوجها وابنتها نفقة كبيرة وخصهم باللطف والرعاية، ثم أغرى زوجها بالخمر والنساء، حتى ضعفت عزيمته فأمره فطلقها ليخلو له وجه الزوجة، ثم اختفى الزوج فلم يعثر له على أثر"[2].

وفي كلا الموضعين تناص خفي مع قوله تعالى على لسان إخوة يوسف:﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[3]. وكأن المؤلف يريد أن يقول أن الشعور بالذنب الذي أحست به راجية والجرم الذي ارتكبه عطيف شبيه بجريمة إخوة يوسف مع أخيهم، إذ ألقوه في البئر رجاء أن يخلو لهم وجه أبيهم، ولكن النتيجة جاءت بعكس ذلك، إذ صار يوسف –عليه السلام- عزيزا على مصر، وباءوا هم بالخسران. وكذلك في الرواية لم تظفر راجية بعبدان بعد خطف أختها، ولم يظفر عطيف بعالية بعد قتله زوجها، بل كان مصيره هو القتل.

4- تهوي به الريح في قرار سحيق

يقول الكاتب واصفاً حالة راجية ليلة خُطفت أختها عالية:

"ثم يعود بها الفكر إلى ما نزل بأختها من المكروه فتتصور ما تعانيه الآن من القلق والحيرة والذعر، وما ينتظرها من المصير المجهول، فإذا عاصف من التوجع والإشفاق والحسرة والندم يعصف بها، ويكاد يقصف أضلاعها قصفا. وتلوذ بالنعاس لعلها تجد فيه مهرباً من هذه الأفكار التي تترامى بها شرقاً وغرباً، وتصعد بها إلى حالق ثم تهوي بها إلى قرار سحيق، فإذا الأحلام المزعجة تتلقفها، وتسلمها من رعب إلى رعب، ومن هول إلى هول لا يعد بجانبه ما تلقاه في اليقظة شيئاً مذكوراً"[4].

1- الرواية، السفر الأول، 4.
2- الرواية، السفر الرابع، 11.
3- يوسف-9.
4- الرواية، السفر الأول، 4.

وفي قوله: " ثم تهوي بها إلى قرار سحيق" تناص غير مباشر مع قول الله تعالى:﴿حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1]. وفي هذا الاستدعاء تشبيه لحالة راجية بحالة المشركين الذين يتأرجحون بين الفطرة التي فطروا عليها وبين الكفر الذي اكتسبوه من البيئة المحيطة بهم، فراجية تتأرجح بين الغيرة والحسد لأختها والسعادة لاختفائها وبين الإشفاق عليها من المصير المجهول الذي ينتظرها.

5- غضبان أسفا:

تحدث الكاتب عن حمدان بعد أن لقي معاملة فظة من عبيد سيده ابن الحطيم الذي قصده لينصره ويعينه على استعادة أخته من الخاطفين فإذا به لا يقابله بل ويأمر عبيده بطرده شر طردة. ثم يصف الكاتب حالة حمدان بقوله:

"وسار حمدان في طريقه غضبان أسفا حتى بلغ سوق القرية دون قصد منه، فتذكر أنه يريد شراء بعض الحوائج لأهله قبل أن يعود إلى المزرعة. فأخذ يمشي في أزقته الضيقة بين الحوانيت الصغيرة، وقد بدأت حركة الناس تخف في السوق من أجل الحر، وطفق الباعة يرتبون بضائعهم أو يرشون الماء أمام حوانيتهم ليخففوا وقدة الشمس، وجلس بعضهم قدامها يتحدثون"[2].

وفي قوله "غضبان أسفاً" استدعاء لحالة نبي الله موسى –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- مع قومه، حيث عبدوا العجل في غيابه لمناجاة ربه، قال تعالى:﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾[3]. وفي التناص الخفي مع الآية الكريمة ما يدل على عمق غضب حمدان وتشبيهه له بغضب موسى –عليه السلام- حين عبد قومه العجل. قال الزمخشري في تفسير الآية: "الأسِف: الشديد الغضب"[4]. فكما أن موسى –عليه السلام- أحس بخيبة أمل في قومه، كذلك حمدان أحس بخيبة أمل في سيده الذي جاءه مستنجداً بجاهه فإذا هو يطرده شر طرده.

1- الحج-22-31.
2- الرواية، السفر الأول، 6.
3- طه-86.
4- الزمخشري، 61/2.

6- فطوعت له نفسه قتل أخيه

يقول الكاتب واصفاً لقاء حمدان بالعيارين:

فسكت الشيخ قليلاً ثم قال لحمدان: «فما يمنعك يا حمدان أن تكون عياراً، فإني لأراك تصلح أن تكون معنا؟». قال عبد الرؤوف مؤيداً كلام الشيخ: «إي والله، إنك لذو أنف حمي وقلب ذكي، وساعد قوي».

فتردد حمدان قليلاً ثم قال: «لكني لا تطوع لي نفسي أن أسطو على أموال غيري»[1].

وفيه عبارة حمدان الأخير تناص خفي مع قول الله تعالى حكاية عن ابني آدم:﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]. فكأن المؤلف يريد ن يقول إن السطو على أموال الناس مثل قتلهم، وإن هذا الفعل يؤدي بالإنسان إلى الخسران.

7- تكاد تميز من الغيظ

يقول الكاتب واصفاً حال حمدان حين علم أن أخته في قصر سيده ابن الحطيم:

"قال الشيخ: «فقد عرفت مصيرها الآن. إنها في قصر ابن الحطيم بالكوفة، وإن ثمامة الذي اختطفها له لمعتصم هناك في القصر».

فجن جنون حمدان وصاح وهو يتميز من الغيظ: «والله لأسرين الليلة إلى الكوفة فلأقتحمن القصر وأستنقذن أختي!»[3].

وفي قوله: "وهو يتميز من الغيظ" تناص خفي مع الآية الكريمة:﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾[4]. وكأن الكاتب يريد أن يقول إن جوف حمدان كان يتسعر كما تتسعر نار جهنم من شدة الغيظ والغضب حين علم أن أخته في قصر سيده ابن الحطيم الذي كان آخر من يخطر على بال حمدان أن يكون وراء اختطافها، والذي كان أول من لجأ إليه ليستعين بجاهه على استرداد أخته باعتباره مولاه وأجيره.

1- الرواية، السفر الأول، 7.
2- المائدة-30.
3- الرواية، السفر الأول، 7.
4- الملك-67-8.

8- وجاءه قومه يهرعون إليه

يقول الكاتب واصفاً المنتدى الذي أنشأته راجية في عاصمة القرامطة وكانت تجمع فيه الرجال والنساء:

"وتسامع الفتيان والفتيات بنبأ هذا المنتدى الشائق العجيب فأخذوا يُهرعون إليه. وسرعان ما نشأت له فروع في مختلف أحياء العاصمة، كان الكرماني يتعهدها جميعاً بالإنفاق ويتخللها عبدان وشهر بالزيارة والتوجيه[1]".

وفي قوله "يُهرعون إليه" تناص خفي مع قوله تعالى حكاية عن قوم لوط: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [2].يقول الزمخشري في تفسير الآية: "يُهرعون: يسرعون كأنما يُدفعون دفعاً"[3]. فكأن الكاتب يشبه حال هذا المنتدى وما فيه من الفسق والفجور بحال قوم لوط وانغماسهم في الرذيلة. وقد اختار الفعل "يُهرعون" المبني للمجهول للدلالة على أن فجورهم وشهواتهم هي التي كانت تدفعهم إلى هذا المنتدى وتسوقهم إليه.

9- جاء البشير

يقول الكاتب واصفاً شوق حمدان لقدوم عبدان ليعينه على حل مشكلة أخته راجية التي أصبحت في حالة نفسية سيئة دون أن يعرف حمدان سبباً لذلك:

"وكان حمدان يعلل نفسه بأن في مجيء عبدان إذا جاء لعونه ما يحمل عنه بعض العبء وما يؤنس من وحشتها ويخفف من ألمها. فكان يترقب قدومه يوماً بعد يوم.

وما أن جاء البشير بمقدمه حتى خف لاستقباله، وفرح به فرحاً مضاعفاً من أجل الدعوة ومن أجل نفسه ومن أجل راجية، فاحتفل بمقدمه احتفالاً عظيماً دعا إليه نقباءه ووجوه أتباعه ليعرفهم بابن عمه فقيه الدعوة ومبعوث إمامها. ثم قضى معه أياما يتباثان الشوق ويتقاصان ما جرى لهما من الحوادث منذ افترقا حتى جمع الله شملهما على هذه الدعوة العظيمة"[4].

1- الرواية، السفر الثاني، 4.
2- هود-78.
3- الزمخشري، 306/1.
4- الرواية، السفر الثالث، 6.

وفي قول الكاتب "وما أن جاء البشير"، معبراً عن فرح حمدان بعودة عبدان، تناص خفي مع قول الله تعالى حاكياً عن يعقوب حين بشر بسلامة يوسف وجيء إليه بقميصه: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[1]. وكأن المؤلف يشبه فرح حمدان بعودة عبدان بفرح يعقوب إذ بشر بسلامة يوسف ولقائه. كذلك فكما ارتد يعقوب –عليه السلام- بصيراً حين بشر بسلامة يوسف، ارتد حمدان بصيراً بعودة عبدان إذ انكشف له سر أخته راجية الذي ظلت تكتمه عنه وأطلعه عليه عبدان، وهو أنها حملت سفاحاً من الشيخ الأهوازي خلال إقامته بمنزل حمدان.

10- ثم بدا لهم

يقول الكاتب متحدثاً عن عالية التي كانت تدعو النساء إلى التوبة والعودة إلى الدين في عاصمة القرامطة:

"ولكن شهراً وراجية تنكران عليه سكوته على عمل عالية، وتحذرانه بأن فتنتها ستشيع في نساء المدينة ثم تستطير إلى رجالها من طريقهن. ويشاركهما عبدان في الإنكار ويشتد حيناً فيه، ثم يلين، فتوبخه راجية وتتهمه بأنه يتحبب إلى عالية، فهو يغضي عن عملها لذلك. فلما كثر الإنكار منهم على حمدان، بدا له فمنع النساء من الاتصال بعالية وعزلها في قصرها فكانت تقول له: «أتسجنني يا حمدان لقول الحق؟ أرجعني إلى الكوفة أو أطلقني» فيجيبها متلطفاً أنه لا يقدر على فراقها وأنه مضطر لما فعل وإلا انتقض الناس عليه"[2].

وفي قول الكاتب: "ثم بدا له" تناص خفي مع قول الله تعالى حكاية عن يوسف –عليه السلام: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[3]. وفي ذلك ما يوحي بأن الكاتب يشبه منع عالية من الاتصال بالنساء والحكم عليها بالإقامة الجبرية في قصرها يشبهه بسجن يوسف- عليه السلام- رغم قناعة العزيز ببراءته بعدما ظهرت الآيات بذلك، وكذلك حمدان مقتنع بأن عالية لا تستحق السجن ولكنه فعل ذلك خوفاً من انتقاض الناس عليه إن تركها تدعو إلى العودة إلى الدين والتمسك بالفضيلة مخالفة بذلك أهم مبادئ المذهب القداحي.

1- يوسف-96.
2- الرواية، السفر الرابع، 18.
3- يوسف-35.

11- على خوف من فرعون وملئهم

يقول الكاتب واصفاً زواج الغيث بن حمدان من إبنة عمته عاليه وفق الشريعة الإسلامية:

"وتم زواج ابن حمدان على ابنة عدوه ابن الحطيم في عاصمة القرامطة على سنة الله ورسوله، وأنف عبدان راغم. وعاش الزوجان الحبيبان مع عالية في قصرها، وما لبث الغيث أن تأثر بأفكارها وعقيدتها شيئاً فشيئاً حتى صار يصلي الفرائض معها، ويصوم الشهر على خوف من أبيه وملئه أن ينكروا فعله"[1].

وفي العبارة الأخيرة تناص خفي مع قوله تعالى:﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾[2]. وكأن الكاتب هنا يشبه خوف الغيث من أبيه وملئه بخوف قوم موسى من فرعون وملئه. وهو في الوقت نفسه تشبيه لجبروت حمدان وملئه بجبروت فرعون.

ب: التناص مع الحديث الشريف:

- **سمع خفق نعالهم:**

يقول الكاتب واصفاً ما حدث لعبدان بعد مقابلته لزعيم القداحيين:

"فتقدمهم ذكرويه إلى دار كبيرة كأنها حصن من الحصون، فربطوا جيادهم في فنائها وهم صامتون لا يتكلمون، ودخلوا الدار يقدمهم ذكرويه بشمعة في يده تضيء لهم الطريق، فإذا الدار خالية ليس فيها أحد. فلما توسطوها أطفأ ذكرويه الشمعة، فلم يشعر عبدان إلا بالقوم قد شدوا عليه فجروه في الظلام الدامس وهو يصبح: «ذكرويه! يا ذكرويه!». فلا يجيبه أحد حتى ألقوه في سرداب مظلم لا يرى فيه شيئاً، وإنما سمع صرير باب قد أغلق عليه وخفق أرجلهم منصرفين عنه، ثم لم يسمع بعد ذلك شيئاً. فأيقن عبدان أن القوم قد غدروا به، وأن ذكرويه قد تواطأ مع الحسين القداحي، وألا سبيل إلى الخلاص من أيديهم. واستشعر رهبة من ذلك الظلام، وخيل إليه أنه سيقضي الدهر فيه. ثم تذكر الصباح فاطمأن قليلاً، ورأى أن يتذرع بالصبر حتى يسفر النهار فيرى ما يكون من أمرهم معه"[3].

1- الرواية، السفر الرابع، 14.
2- يونس-83.
3- الرواية، السفر الرابع، 20.

وقول الكاتب واصفاً حال عبدان بعد أن وضع في السجن المظلم: "وإنما سمع صرير باب قد أغلق عليه وخفق أرجلهم منصرفين عنه"، تناص خفي مع الحديث الشريف:

"حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع خفق نعالهم فيأتيه ملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ يعني محمدا - صلى الله عليه وسلم- , قال: أما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله, فيقال له: انظر إلى مقعدك في النار قد أبدلك الله به مقعدا في الجنة، فيراهما جميعاً"[1].

وفي ذلك تشبيه لحال عبدان بحال الذي يوضع في القبر، فقد وضع في مكان مظلم لا يرى فيه شيئاً ولا يسمع شيئاً إلا خفق نعالهم ثم انقطع عنه، ولا يدري ما يحدث له، فما أشبه حاله بحال الميت الذي يوضع في القبر ثم يترك هناك لا يدري ما يفعل به.

خاتمة:

وأخيراً فإنني أحسب أن ظاهرة التناص في أدب الكاتب علي أحمد باكثير ظاهرة تستحق الالتفات إليها، وأن الدراسات النقدية التي تناولت أعمال الأديب باكثير لم توفها حقها من الاهتمام. وآمل أن يتاح لي أن أتناول ظاهرة التناص في روايات باكثير كلها بدراسة مستقلة في قابل الأيام، إن شاء الله تعالى.

1- الراوي: أنس بن مالك المحدث: البخاري - المصدر: صحيح البخاري - الصفحة أو الرقم: 1374- خلاصة الدرجة: صحيح. (موقع الدرر السنية).

المراجع:

- القرآن الكريم
- باكثير، علي أحمد: الثائر الأحمر، دار الكتاب اللبناني، د. ت.
- الجعافرة ، د. ماجد ياسين: التناص والتلقي: دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، إربد، الأردن، 2003م.
- حميد، د. محمد أبوبكر : على أحمد باكثي، النشأة الأدبية في حضرموت، **مجلة الأدب الإسلامي**، 1422هـ / 2001م، العدد 29، م 8، ص 15
- الزعبي، د. أحمد: التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 2000م.
- الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1427هـ/2006م.
- القاعود، د. حلمي محمد: الثائر الأحمر وفشل المشروع القرمطي، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، العدد 7، ص336- 367.
- موقع الدرر السنية http://www.dorar.net (2010/4/22).
- موقع ملتقى أهل الحديث http://www.ahlulhadeeth.com (2010/4/22).